خطأ ، وهو الأسوة الامام ؟ ثم إن مقالة هؤلاء قد تدفع غيرهم يوما إلى ان يقولوا : إن جميع أبواب الربا والبيوع والمعاملات والعقوبات الموجودة في السنة هي من هذا القبيل ، هي من أمور الدنيا التي نحن اعلم من الرسول بها . فليس بلازم أن يكون الصواب حليفه فيها ، ولا لازم ان نتبعه فيما قال ، بل وتدفعهم إلى أن يقولوا : إن كل ما في الأحاديث من أحوال الاسم الماضية والآتية ، وكل ما ذكر قبيل الساعة من الأهوال والأشراط ، وما ذكر في الآخرة من الأمور الشديدة : إن ذلك كله قد قاله الرسول رأيا ، كما قال هؤلاء في الحديث المذكور

إن تكذيب هذا الحديث ، ورمي جميع رواته بالكذب والخطأ لأيسر عندي من أن يقولوا مقالتهم هذه . وما ظنهم لو قال احد مثل قولهم هذا أمام أبي بكر الصديق ، أو عمر بن الخطاب ، أو غيرهما من الصحابة رضي الله عنهم ؟

إذاً لقد صح هذا الحديث ، وأصبح معجزة من معجزات الاسلام العلمية الخالدة .

حديث تأبير النخل

عن طلحة قال : مررت مع رسول الله بقوم على رءوس النخل فقال « ما يصنع هؤلاء » فقلت يلقحونه فقال رسول الله « ما اظن يغني ذلك شيئاً » قال : فأخبروا ، فتركوه ، فأخبر رسول الله بذلك فقال « إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فاني انما ظننت ظنا ، فلا تؤاخذوني بالظن ،

ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به ، فانى لن أكذب على الله »
وعن رافع بن خديج قال : قدم رسول الله عليه السلام المدينة وهم يأبرون النخل فقال « لعلكم لو لم تصنعوا كان خيرا » فتركوه ، فنفضت ، فذكروا ذلك له ، فقال « انما انا بشر اذا امرتكم بشىء من دينكم فخذوا به واذا حدثتكم بشىء من رأيي فانما انا بشر » وعن أنس ان رسول الله عليه السلام مر بقوم يلقحون فقال « لو لم تفعلوا لصلح » قال : فخرج شيصاً ، فمر بهم ، فقال « مال نخلكم » قالوا : قلت كذا وكذا قال « انتم اعلم بأمور دنياكم » روى ذلك كله مسلم فى صحيحه

وقد استدل قوم بهذه الروايات على أن الرسول ليس معصوماً من الخطأ فى أمور الدنيا ، وليس واجبا اتباعه وتصديقه فيها . بل قالوا يعرض مايقول على ميزان النقد كسائر كلام الناس ، فان جاء موافقا قبل والا رد عليه . فردوا لذلك أحاديث صحيحة فى البخارى وغيره

ولا ريب أن هذا مشكل جداً . لأن من أمور الدنيا أبواب المعاملات ، والعقوبات ، والحروب ، والمواعظ ، والطب ، واخبار الامم الماضية والآتية . فهل يقال : ان رسول الله عليه السلام يخطىء فى ذلك ، وإنه ليس واجباً اتباعه فيه ، ولا تصديقه ؟ ! لا جرم ان قولا كهذا معدود من الخروج على الدين وصاحب الدين

إذاً فما معنى هذه الروايات ؟ ! الجواب أن يقال : هذه الروايات صريحة فى انه قال لهم ذلك بعبارة الظن ، وافهم أنه ظنه ظناً ليس مستيقناً . فتدل على أن ما ظنه ظناً يجوز أن يخطىء فيه ، سواء فى ذلك الدنيويات

والدينيات . لكن لا يقر على الخطأ . وأما ما قاله على سبيل الايقان فلن يكون من ذلك .

ويقال أيضاً : الروايات صريحة فى أن ما قاله ظاناً من قبل رأيه جائز أن يقع فيه خطأ ، وما قاله عن الله لم يجز فيه ذلك لا فرق بين أمور الدنيا والدين ، فالتفريق بينهما بالطريقة المذكورة ليس صحيحاً .

وأيضاً قد قابل القول بالرأى بالتحديث عن الله فقال « لا تؤاخذونى بالظن ولكن اذا حدثتكم عن الله فانى لن اكذب على الله » وقال « اذا حدثتكم بشىء من دينكم فخذوا به ، واذا حدثتكم بشىء من رأيى فانما انا بشر » فدل على أن ما قاله على سبيل اليقين فهو عن الله ، وهو لازم الأخذ به ، وليس بجائز الخطأ عليه ، ليس بين الدنيويات والدينيات فرق . وهذا خلاف قول هؤلاء الذين يغلطونه عليه السلام فى أشياء أصدر قوله فيها موقناً مستدلين بهذا الحديث . وهو رد عليهم لو تدبروا وتريثوا .

وأيضاً الامر الدنيوى الذى يقوله عليه السلام إما أن يكون قاله برأيه ، أو يكون قاله وحياً عن الله . اما الثانى فلا يمكن أن يناله خطأ . وهذا بالاجماع . وأما الاول فهو الذى يمكن أن يصاب بشىء من الخطأ ، كما شهد الحديث

إذاً فالعبارة الصحيحة فى هذا المقام أن يقال : الأمور الدنيويات قسمان : وحى عن الله . واجتهاد رأى (الأول) معصوم فيه ولا ريب (والثانى) هو الذى قد يجوز فيه الخطأ .

وأما اجتهادهم الدنيويات كلها بأنها يجوز فيها الخطأ فأمر لا يصح والحديث الذي استندوا عليه راد عليهم .

وأيضاً الأمر الذي قاله الرسول جازماً ، ومات عليه ، ولم يذكر خلافه ، ولا سيما إذا كان من أمور الغيب ، كحديث الدجال ، وأحاديث الدجال ، وسجود الشمس تحت العرش لا يمكن أن يكون خطأ ، ولا يمكن أن يكون قاله برأيه وظنه . وقد صح عنه عليه السلام أنه قال : « الظن أكذب الحديث » وفي كتاب الله (وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً) وأنحى باللائمة على الظانين في آيات . وجعله من أخلاق الكافرين (إن يتبعون إلا الظن) (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) . فليس بمكن أن يهجو الظن والظانين ، ثم يوافقهم على ما هجاهم لأجله .

وأيضاً المختار من رأي العلماء أن الأنبياء عليهم السلام قد يخطئون فيما قالوه مجتهدين ، سواء في ذلك أمور الدنيا وأمور الدين . وقد عاتب الله رسوله في مواضع اجتهد فيها . قال في سورة الأنفال (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) . وذلك أنهم في غزوة بدر أسروا وجوهاً من المشركين هم زعماء قريش ، فاختلفوا : أيقبلون منهم الفداء أم يقتلونهم ؟ فكان رأي الصديق ونبي الله أن يقبلوا الفداء ، ورأى عمر أن يقتلوا ، فنزلت الآية تصديقاً وإحقاقاً لقول عمر ، فبكى رسول الله عليه السلام ، وبكى أبو بكر الصديق لذلك . رواه مسلم . وقال تعالى (عفا الله عنك لم

أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) . وقال (عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى ، وما عليك ألا يزكى ، وأما من جاءك يسعى وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى) . وذلك أنه كان عليه السلام إذا جاءه صناديد قريش وقادتهم ، وجاءه ضعفاء المسلمين كابن أم مكتوم الأعمى أعرض عن الأخيرين ، واشتغل بالمشركين ، رجاء أن تصيبهم الهداية ، وهو يحسب أن رضا الله فيما فعله ، فعاتبه عليه . وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « كانت امرأتان معهما ابنتاهما فجاء الذئب فذهب بابن إحداهما ، فقالت صاحبتها إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك ، فتحاكمتا إلى داود عليه السلام ، فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان ابن داود فأخبرتاه ، فقال : ائتونى بالسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى : لا تفعل يرحمك الله هو ابنها ، فقضى به للصغرى » رواه البخارى ومسلم . اجتهدا رأيهما فى مسألة دينية ، فأصاب أحدهما . وفي سورة الانبياء (وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان) وهذا النوع كثير فى القرآن والسنة . فكذلك حديث تأبير النخل غايته أنه اجتهد فيما لم يوح إليه ، فصار الصواب فى خلافه .

والقول الفاصل فى هذا الحديث أنه عليه السلام اذا قال قولا على سبيل الظن فى الدين أو الدنيا فليس بلازم أن يكون صوابا ، بل يجوز

عليه الخطأ . على أنه لا يقر على الخطأ بل يبين له الحق فى حياته . وأما ما قاله على طريقة اليقين ، ثم لم يذكر خلافا له فليس بجائز بالمرة أن يكون خطأ سواء أمر الدين وأمر الدنيا . وقد قال القرآن (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) . وقد ثبت فى الصحيح أن هذه الآية نزلت فى التحاكم اليه فى شئون الدنيا . وقال (فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا . ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً) الآية . وقد صح أن الآية نزلت فى الدنيويات ، وأن عمر بن الخطاب قتل من لم يرض حكمه عليه السلام فيها . وقال (والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) . لا نحتاج أن نذكر أن الآية صريحة فى أن مايقوله عليه السلام وحى من الله بلا فرق بين أمر وأمر . وفى سورة الحشر (ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فبعد أن ذكر حكم الأنفال — وهى من الأمور الدنيوية — قال (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهل ينتهى هؤلاء عن مقالتهم هذه ؟

وبهذا تم أن قول هذه الطائفة من الناس أن الدنيويات يجوز

أن يخطىء فيها إطلاقاً قول لا يقابله الصواب ، وخطوة واسعة إلى الخروج عن حدود الشريعة وتجاوزها . وقد يجيء من يقول ممن يقرءون كلام هؤلاء : ليس بلازم أن يكون الرسول عليه السلام مصيباً فى مسائل العقوبات ، والديون ، والحدود ، والزكوات ، وسائر الأموال قائلين : إنه كان فى ذلك مجتهداً ، ويحتجون بحديث تأبير النخل كما فعلت هذه الطائفة . وسوف ترى وتسمع .

حديث لا عدوى

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » . رواه البخارى ومسلم . والحديث ثابت فى الصحاح عن غير أبى هريرة أيضاً

العدوى هي انتقال المرض من إنسان أو حيوان إلى آخر . وهذا أمر واقع لاشك فيه . ويدل عليه النص والاستقراء والطب والاجماع . فروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله عليه السلام قال : « لا يورد ممرض على مصح » . والممرض هو صاحب الابل المريضة ، والمصح عكسه . أى لا تورد الإبل المريضة على الإبل الصحيحة حذر العدوى . وروى البخارى أن رسول الله عليه السلام قال « فر من المجذوم فرارك من الأسد » وروى مسلم أنه كان فى وفد ثقيف القادم على رسول الله مجذوم ، فقال رسول الله « ارجع فقد بايعناك » . وفى الصحيحين أنه عليه السلام قال : « إذا سمعتم بالطاعون فى أرض فلا

تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا فراراً منه » .

هذه الأخبار كلها تدل على وجود العدوى . وأما الاستقراء فما زال الناس يشاهدون الصحيح ينتابه المرض إذا خالط المريض ، ولا سيما بعض الأمراض ، كالجرب ، والجذام ، وبعض الحميات . وأما الطب فقد أجمع الأطباء قديماً وحديثاً على أن ثم عدوى ، وكلهم ينهى عن مساكنة المريض . وأما الإجماع ففى البخارى ومسلم أن عمر بن الخطاب سافر إلى الشام ومعه الأنصار والمهاجرون فعلموا وهم فى الطريق أنه وقع فى الشام وباء ، فاستشار عمر من معه : أنرجع أم نمضى ؟ فقالت له طائفة : خرجت لأمر فلا نرى أن ترجع عنه . وقالت أخرى : معك بقية أصحاب رسول الله عليه السلام ، فلا نرى أن تدخل بهم على هذا الوباء . ثم قفل عمر رضى الله عنه راجعاً عن معه . فقال أبو عبيده : أفراراً من قدر الله ؟ ! قال عمر : لو غيرك قالها . نفر من قدر الله إلى قدر الله . أرأيت لو نزلت وادياً له عدوتان : إحداهما مخصبة ، والأخرى مجدبة ، ألست إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت المجدبة رعيتها بقدر الله ؟ ! . فهم لم يختلفوا فى العدوى وإنما اختلفوا : هل يرجعون فراراً منها ، أم يمضون اتكالاً على الله ؟ ثم ان الميكرسكوب كشف سبب الأمراض ، وأنها حيوانات صغيرة جداً تحل فى الجسم فتقذف فيه سماً ، وترعاه حتى يفسد . والحيوانات تنتقل بالمباشرة والمقاربة . إذاً فما معنى قوله « لا عدوى » ؟

عنه جوابان :

أولهما — أن قوله لا عدوى نهي لانتفي . والمعنى لا يعد بعضكم بعضاً . أي لا تتعرضوا لذلك بل اتقوه ، واتقوا مكانه . وهذا كقوله تعالى (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) أي لا يكن ذلك منكم . ومثل قوله عليه السلام « لا ضرر ولا ضرار » وقوله « لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ولا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس » وأشباه هذا كثير . ويصحح هذا الجواب آخر الحديث . فقوله « لا طيرة » أي لا تشاؤم معناه لا تتطيروا ولا يقع منكم ذلك . وليس المعنى أن الطيرة مفقودة في الناس . وكذا « لا هامة » وهي طير معروف « ولا صفر » وهو الشهر المعروف . والمراد لا تعتقدوا في شهر صفر ولا في الهامة ما كان الجاهليون يفعلونه ويعتقدونه . وليس ممكن أن يكون نفياً .

وثاني الجوابين — أن يكون ذلك نفياً لما كان عليه الجاهلية ، لا لنفس العدوى ، لأن أهل الجاهلية كانوا يبالغون في أمر العدوى والتشاؤم ، ويوسوسون فيهما حتى يمتنعون من زيارة المرضى ، والقيام عليهم . وقد يمتنعون من الأسفار التي أزمعوها تطيرا وتشاؤما . وأنا أعرف عالماً فاضلاً من اخواننا المحققين أصيب بهذا الوسواس فضر بصحته كثيراً ، وأضناه ، وأنحل جسمه ، حتى إنه ليصافح الأصحاء إذا ما أُلجيء إلى ذلك بأطراف أصابعه ، ويجذبها منهم سريعاً خائفاً أن يكونوا حاملين أمراضاً فيعدوه . ومن رأي هذا الأستاذ أنه لا يصح الدخول على المريض مطلقاً ، ولا زيارته . فقيل له : إن زيارة المريض

واردة فى الشريعة ، وهى من محاسنها . فقال : إذا زار زائر مريضا وجب عليه ألا يدخل عليه ، بل يقف بعيدا ويسلم عليه بالاشارة . ومثل هذا الاستاذ كثير . ولا جرم أن تشاؤماً يوقع صاحبه فى هذا لأعظم ضرراً من الاختلاط بالمرضى ولهذا ينهى الأطباء كثيراً عن المبالغة فى الخوف والتشاؤم .

فهذا النوع من العدوى هو المنفى المبطل بهذا الحديث ، لا أصل العدوى . وهذا مثل قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) والشفاعة والخلة — الصداقة — موجودتان فى ذلك اليوم على وجه مشروع . والمنفى فى الآية هى الشفاعة والخلة التى كان يظنها الكافرون الجاهلون . وكذا قوله (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال) وخلال جمع خلة ، وهى الصداقة . وقوله (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . وقوله (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع) وهذا كله نفى لما يدعيه المشركون . وكذلك قوله « لا عدوى » هو نفى لما كان عليه الجاهليون الغالون . ويقرب من هذا المعنى أن تسمع قائلا يقول : فى المسلمين خير كثير ، ولهم قوة ، وفيهم علماء وفلاسفة فتقول : ليس فيهم شىء من ذلك ، وأنت لا تعنى بذلك الابطال العام ، وإنما تريد أن تبطل المبالغة التى دل عليها قول القائل

وبهذا اتفقت أقوال النبوة وأحدث النظريات الطبية .

وقول عمر بن الخطاب : نفر من قدر الله إلى قدر الله من الكلمات

النوابغ الجوامع التى يندر وجود مثلها ، وهى من أسمى ما تصل إليه القرائح البشرية ، ومما تنضى دونها عقول الفلاسفة والحكماء . وهى من الأمثال الطائرة السائرة . وإنه لخليق بأمة تنتهى بدائه أمييها إلى هذه المراقى السامية أن تسود العالم ، وأن تذل لها أعناق الأكاسرة والقياصرة . والمثل الذى ضربه لأبى عبيدة يكاد يكون من مشكاة النبوة . فلله عمر ، ولله العرب حكماء علماء كادوا من فقههم يكونون أنبياء ! !

احاديث الدجال

تواترت الاخبار النبوية فى جميع كتب السنة الصحاح وغيرها تواتراً لايدع للريب مكانا انه يخرج فى آخر الزمان قبيل الساعة مخلوق فتان كذاب يسمى الدجال ، يخلق الله على يديه أموراً تعد عظيمة من من الخوارق ، يمتحن بها عباده كما يمتحنهم فى كل آن ، ويميز بها المنافق من المؤمن ، والثابت العقيدة من مزعزعها . قد روى ذلك عن محمد عليه السلام من لاتقدر على احصائهم من صحابته رضوان الله عليهم . وخرجه من لاتقدر أن نعدهم من العلماء والمؤلفين فى كتبهم . واشتهر بين المسلمين شهرة تغنى عن أن يستدل على وجوده ، أو يشك فيه حتى أدخلوه في صلواتهم يستعيذون منه كل يوم أكثر من خمس مرات ، ويذكرونه فى الليل والنهار ، يسألون الله الوقاية من شره ، والحفظ من فتنته ، قارنين بين الاستعاذة منه والاستعاذة من جهنم لتلازمهما حساً ومعنى ، ولانه حامل راية جنودها ، وقائدهم إليها . حتى لقد أمر رسول الله — كما فى صحيح

مسلم — بالاستعاذة منه في الصلاة أمراً . ورأى فريق من العلماء أن من لم يستعذ منه في صلاته فصلاته ملغاة . وهذا لاهتمام الشارع به ، ولخوفه على أمته منه ، ولعظم بلواه . أعاذنا الله منه

فهذا الدجال معلوم عند عامة المسلمين علما ضروريا لا يشكون فيه كما لا يشكون في أن رسول الله عليه السلام ولد في مكة ، ومنها هاجر إلى المدينة ، وتوفاه الله فيها ، ودفن فيها ، وبنى مسجده فيها . وكما يعلمون أن الله فتح له مكة ، وأذل به كفار قريش وطواغيت العرب في حياته . بل كما يعلمون أعداد الصلوات وأن منها الجهريات والسريات ومنها الثلاثيات والرباعيات والثنائيات . وكما يعلمون أوقاتها وهيئاتها بالاجماع . وبالاجمال ليس لديهم شك في خروج هذا الدجال ، وفتنته العظمى . ولا شك أن ايمانهم به ، وعلمهم له أكثر من ايمانهم وعلمهم بخروج ابن الزبير على عبد الملك بن مروان ، وقتل الحجاج الثقفي له . على أنه لا يمكن الشك في الاخير ، ومن شك فيه كان إلى التعليم أحوج منه إلى المجادلة .

وقد استشكل بعض العلماء في هذا العصر — الذين يحبون الاستشكال لأنه استشكال ، والذين يعشقون خلق الشبهات لحاجات في النفوس — أحاديث الدجال وما ذكر عنه ، وشككوا فيها ، وألبوا الاعتراضات على صحتها . وهذا تشكيك منهم في الضروريات ، وإبطال لها بالشبه النظرية الهزيلة ، كما ترى إن شاء الله . وما علمنا أن الأمور

المتواترة تهدم بالشبهات والاحتمالات ، كما لانظن أن هؤلاء الشاكين المشككين يقبلون مثله فى رجال التاريخ ، كما لانظنهم يقبلون الشك فى وجود الحجاج الثقفى ، وعبد الملك بن مروان ، والمأمون ، وعنترة العبسى ، وامرىء القيس ، والبحترى ، وابى تمام ، وأمثالهم . بل نحسبهم يعدون الشاك فى هؤلاء لايستحق الخطاب ، مع أن تواتر أخبار الدجال وصحتها أكثر من أخبار هؤلاء الرجال . ولو قام قائم ينكر وجود دولة الفاطميين فى مصر ، والقرامطة فى الاحساء لعدوه من الذين لاتليق بهم مخاطبة العقلاء . ولاريب أن أخبار الدجال اكثر من أخبار هاتين الدولتين ، والعلم بها للخاص والعام أبين من العلم بهما ولو شك شاك فى أن الفاتحة تقرأ فى أول كل ركعة ، أو شك في التكبيرات فى الصلاة ، أو فى القراءة فى القيام ، والتشهد فى الجلوس لما فرقنا بينه وبين الشاك في ان رسول الله حدث عن الدجال واخبر بخروجه .

والحاصل أن الشك فى الدجال شك فى الضرورى ، فلا يقبل ، ولا يعذر فيه أحد . وقد يجد هؤلاء يترنمون بدعوى الاجماع ، والتواتر ، والشهرة اذا ردوا على مخالفيهم . ولا نعتدى اذا قلنا إنهم كثيراً مايتعثرون بالتناقض ، وكثيرا ما يهدمون فى مكان ما بنوه أزمانا فى أماكن أخر . وليس على الله بعيدا أن يرزقهم الاعتدال والقصد . ونحن نذكر اعتراضاتهم — بحوله تعالى

الشبه على أحاديث الدجال

قالوا : أولا — لو أخبر رسول الله ﷺ بأن الدجال خارج قبل الساعة ولا محالة لجعل الناس فى أمن من قيام الساعة مالم يخرج الدجال ، ولما كانوا فى خوف مستمر من مفاجئتها إياهم . ولا ريب أن المصلحة فى أن يظلوا أبداً خائفين من قيامها ومفاجئتها ليحملهم ذلك على أن يصلحوا ، ويجتنبوا الموبقات وغضب الله .

قالوا : ثانياً — هذا مخالف للقرآن الكريم لأنه يقول فى الساعة (لا تأتيكم إلا بغتة) ولو كان الدجال خارجاً قبلها ، ومن اشراطها لما كان إتيانها بغتة . بل لكان بعلم .

قالوا : ثالثاً — هذا الدجال يدعى لنفسه أكبر الدعاوى ، وهي الربوبية . والروايات تخبر أن الله يخلق على يديه الأمور العظيمة ، ويمكن له فى الأرض . وليس من سنة الله أن يؤيد الكاذبين ، ولا أن يعطيهم ما به يفتنون ويروجون نحلتهم .

رابعاً — إن الروايات تحدث أن الله يهبه من الخوارق ما يشبه معجزات الأنبياء . وهذا يقدح فى صدق الأنبياء

قالوا : خامساً — إن الأخبار فيه متخالفة تخالفاً يوقعها فى السقوط، وألا يعتد بها

قالوا : سادساً — هذا الدجال أعظم الفتن التى تقع أمام الساعة ـ

كما تقول الروايات ـ فلماذا لم يذكره القرآن ويهتم بشأنه . وقد ذكر ماهو أقل منه خطراً وخطورة ؟! فلو كان حقاً لما أغفل القرآن ذكره .

هذه هى شبههم التى شكوا وشككوا لها فى أخبار الدجال .

ونحن نقول فى جوابها سائلين الله العون والسداد :

أما الشبهة الأولى فنقول : لئن كانوا في مأمن من أن تقوم الساعة ومن أن تفاجئهم قبل أن يخرج الدجال ليكونُنَّ فى خوف ووجل مستمر من مفاجئة الدجال ، الذى وُصف بأعظم الأوصاف البشعة . فيحملهم ما يتوقعون من خروج الدجال ، على أن يصلحوا ، وأن يتقوا ، فتحصل النتيجة المطلوبة وهى أن يكونوا خائفين وجلين ، ليكونوا متقين لله صالحين .

ونقول أيضا : بيننا وبينكم الواقع والمشاهد والمستقرأ . انظروا إلى المحدثين الذين رووا أحاديث الدجال واشراط الساعة ، وآمنوا بها ايمان الموقنين . أما كانوا أتقى الناس ، وأخوف الناس لله تعالى ، مع أنهم عالمون أن بينهم وبين الساعة تلك الاشراط وذلك الدجال ؟! فهل منعهم ما علموا من ذلك أن يكونوا على ذلك الصلاح والورع ؟!

ونقول أيضاً : لسنا فى شك أن فى رواية أخبار الدجال على حقيقتها والايمان بها ما يجتنب المخالفات ، وما يزيد المسلم إيمانا بالله ، وتقوى له وفرارا من عصيانه ، ورغبة فى طاعته . ويتبين لك ما أقول اذا ما قرأت هذه الأحاديث على جماعة المؤمنين المصدقين ، ورأيت كيف يتأثرون ، وكيف ينزعجون ، وكيف يرغبون فى الدين ، ويرغبون عن المخالفة .

وكذا إذا ما قرأتها بينك وبين نفسك مصدقا بها . فالنتيجة التى تكون فى أخبار الدجال وخروجه هى فى الحق خلاف قول هؤلاء .

وأيضا قد ذكر الله تعالى فى آيات عدة سعة عفوه ، وغفرانه ورحمته . وكذلك ذكر رسوله هذا قد يثبط بعض الناس عن الطاعات ، وقد يغرى بعضهم بأن يركب مالا يصح اعتمادا على سعة هذا الفضل . فهل دل هذا على أن هذه النصوص باطلة وكذب ؟ ! أو دل على أن التحديث بها غلط ؟ ! ومثله أخبار الدجال . وقد أخبر رسول الله أصحابه أنه لابد أن ينصر الله دينه ، وأن يظهره على الدين كله ، وأن الله سوف يفتح لهم البلاد ، ويملكهم كنوز فارس والروم وهذا كله قبل أن تقوم الساعة طبعاً . فقد جعل أصحابه والمسلمين فى مأمن من قيام الساعة فهل أخطأ فى ذلك ؟ ! وهل كذب فيه ؟ ! وهل قلل تقواهم ؟ !

وأيضاً هذه الشبهة تدل على أن الساعة ليست لها أشراط البتة لئلا يكون الناس في مأمن منها . وهذا خلاف القرآن . قال الله (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة ، فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) وقال : (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتى بعض آيات ربك ، يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها) الآية . وقال : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون) . فليتدبر هؤلاء شبهتهم هذه فليس كل ما يكتب علماً

وأما الشبهة الثانية ، وهى مخالفة قوله (لا تأتيكم إلا بغتة) فنقول : مجيء الدجال إما أن يكون علامة على أن الساعة جاءت أو على أنها اقتربت جداً . على الأول يكون مجيء الدجال مجيئاً للساعة وهو يأتى بغتة ، فهى مثله تأتى بغتة ، ويكون مجيؤه كمجيء جزء منها وعلى الثانى فليس العلم باقترابها يمنع أن تأتى بغتة ، ولا شك فى هذا قال الله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقال : (اقترب للناس حسابهم) فهل نافى هذا قوله (لا تأتيكم إلا بغتة) ؟! وهل نافى علمهم اقترابها بأنها لا تأتيهم إلا بغتة

وأيضاً إما أن يوافقوا على أن للساعة أشراطاً أم لا يوافقوا . فان وافقوا على أن لها أشراطاً ـ وشرط الشىء علامته ـ فالاعتراض الذى أوجدوه على الدجال وارد على الأشراط التى آمنوا بها ، فما كان جوابا لهم هنا كان جواباً هناك . وإن قالوا ليست لها أشراط فقد خالفوا القرآن فهو يقول : (يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها) ، ويقول : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم) وقال (وإنه لعلم للساعة)

وأيضاً قال فى القاموس « البغتة الفجأة . وبغته فجأه » وقال : « فجأه هجم عليه » إذاً قوله : (لا تأتيكم إلا بغتة) معناه لا تأتيكم إلا هجوماً . فهل مجىء الدجال قبلها يمنع أن تأتى هجوما ؟! ليتدبر ذلك المخالفون .

وأيضا الذى فى الأحاديث الصحيحة ان الدجال يجىء قبل الساعة ،

وليس فيها مقدار الزمن الذى بينه وبين الساعة . والروايات تدل على أن الزمن مجهول وأنه طويل . إذاً لاتزيد روايات الدجال على أنه ينزل قبل الساعة الموعودة . وهل العلم بأن قبل إتيان الشيء إتيان شيء آخر يمنع أن يكون إتيان الآخر بغتة ومجهولا وبعيدا أيضا ؟ ! وصحابة رسول الله كانوا يعلمون أن الساعة لن تقوم حتى يتم الله دينه ، ويظهره على الأديان كلها . وهذا الاظهار والاتمام لابد أن يكون قبل الساعة فهل خالف ذلك قول القرآن (لا تأتيكم الا بغتة) ؟ !

وأيضا قد صرح القرآن الكريم بأن يأجوج ومأجوج خارجون قبل الساعة ، وأنهم بيننا وبينها . قال فى سورة الانبياء (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا) وفى سورة الكهف (قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربى حقاً وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور) فشبهتهم على خروج الدجال تتناول هذه الآيات . ولا جرم ان شبهة تطعن القرآن فى صميمه باطلة داحضة . أليس هؤلاء المخالفون يعرفون ان الساعة لا تقوم الا بعد أمور كثيرة ، واشياء طويلة ؟ ! ولا نحسبهم يجوزون أن تقوم اليوم أو غدا أو بعد غد ، مع انهم يقولون : إنها لا تأتى إلا بغتة

وأما الشبهة الثالثة وهى تأييده بالخوارق — وهو الكذاب — ومقالتهم إن مثل هذا مخالف لسنة الله . فيقال : سنة الله تأبى أن يعطي الكذاب الخوارق التى تؤيد دعواه الباطلة بغير أن يقرنها بما يكشف

حقيقتها وكذبه . أما أن يعطي الكفار والكذابين والدجالين شيئا من ذلك ، مع إظهار الدلائل على أنهم كاذبون ومضلون ، فليس فى هذا مخالفة لسنة الله ، ولا تغرير بعباده . ولقد أعطى الشياطين ، والسحرة ، وكبار الضالين قوة وصحة وغنى ومهارة فى علوم الدنيا وصناعاتها مالم يعط عباده المؤمنين ، وأعطى أمم الكفر ما نراه اليوم عزة وسلطانا وسعة ملك لم يكن بعضه اليوم للمؤمنين . بل قد أعطى الشيطان من السلطان على النفوس والعقول والتصرف فيها ، والتغلب عليها شيئا لم يعطه رسله ولا عباده الصالحين ، حتى إنه ليجرى من الانسان مجرى الدم فى جسمه ، وأعطاه من طول العمر مالم ينله غيره من خاصة عباده . وأعطى فرعون وقومه ملكا لم يعطه موسى وأنصاره . وبالجملة فقوة الضلال وسلطانه أقوى من سلطان الإيمان ونفوذه فى أكثر الأوقات . وفى مثل هذا يقول القرآن : (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم) ، وقال : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) ، وقال : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين)

وفى الحديث الصحيح انه قال عليه السلام « لهم الدنيا ولنا الآخرة » وليس فى هذا مايدل على كرامة ولا على فضل ، كما لاتدل الصحة والمال

والشهرة فى الدنيا والقوة على شىء من ذلك لصاحبها . وقد أخبر القرآن أن أعداء الله قد تمكنوا من رسله ، فقتلوا منهم فريقاً ، وأخرجوا فريقاً آخر من ديارهم ، وعذبوا آخرين وهذا غاية السلطان والتمكين . وليس هذا بمخالف لسنة من سنن الله (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين) إلا أنه تعالى لابد أن يقيم الدلائل على أن هؤلاء الأقوياء المسلطين ضلال من حزب الشيطان . وهذا ما سيفعله بالدجال . فقد كتب بين عينيه « كافر » يقرؤه كل احد . وأصابه بعيب لازم ، ونقصان ظاهر ، وهو أنه أعور . وملأه بآيات النقص والضلال ، مع أنه يدعى الربوبية

وهو أيضا سبحانه لا يديم سلطان الضالين بل يملى لهم حيناً ثم يأخذهم أخذاً عنيفاً ويفضحهم . وكذلك يفعل بالدجال

ثم أليس غاية ما فى أخبار الدجال أنه ضال كبير يخلقه الله تعالى يأتى بالمنكرات العظيمة يضل به طوائف من الناس ، ناقصى العقول ، عباد الشهوات . ومثل هذا كل يوم نراه . فالله داعًا يرسل المضلين والفاتنين . وما أظن الحضارة الغربية بمخترعاتها ، وصناعاتها ، وسلطانها ، ونسائها ، تقل عن الدجال إغواء للناس وافساداً للضمائر

فليس فى خلق الدجال مخالفة لما عهد من سنته تعالى . كيف وهو يخرج قبيل أن يخرج عيسى بن مريم عليه السلام ، وهو الذى يقتله بعد أن يعيث ما يعيث فى الأرض . ونحن نعرف من سنة الله أنه يرسل رسله ليأخذ الطغاة البغاة . كما أرسل موسى لفرعون ، وابراهيم

لنمروذ . فليس فى أن يعطى الدجالين والكذابين والمتنبئين شيئاً من السلطان والقوة والخوارق ـ إذا ما أظهر كذبهم وحقيقتهم ـ تأييد لهم مطلقاً .

ثم هؤلاء كثيراً ما يردون الأمور الثابتة والأخبار الصحيحة اعتماداً على هذه الدعوى العريضة التى يترنمون بها دائما ، وهي سنة الله . والله يعلم أن القوم لا يعرفون سنة الله ، ولا يحيطون بشأنه

وأما الشبهة الرابعة وهى قولهم : إن الله يعطيه ما يشابه معجزات الأنبياء ، وهو يقدح فى صدقهم . فيقال :

إن الفرق بين معجزات الأنبياء ، وبين ما أعطاه الدجال كالفرق بين الدجال والأنبياء أنفسهم . ولا يسوى بين معجزات الأنبياء وخوارق الدجال إلا من سوى بين السحر والكهانة ، وبين معجزات الأنبياء . إنه أعطى ذلك الدجال ما أعطاه من الخوارق الزائلة ، وأظهر الدلائل فى ذاته ودعوته ، وفى كل شىء منه على أنه كذاب ، وأنه ضال وخبيث . فكتب بين عينيه « كافراً » وأصابه بالعور ، وأحاط به النقصان من كل جانب ، فى حين أنه يدعي الألوهية لا النبوة . وأما الأنبياء فأعطاهم المعجزات القاهرات الخالدات ، وأعطاهم ما يدل على أنهم صادقون . وعلى أن كل ما يدعون إليه حسن مقبول . وقد أعطى الله السحرة أشياء خارقة عجيبة . وكذا المتنبئين . فقد نزل عليهم الشياطين يساعدونهم فى كثير على ضلالهم وإغوائهم وما كان ذلك قادحا فى صدق الأنبياء . وأخبر القرآن أن سحرة فرعون سحروا

الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم . فألقى موسى عصاه فاذا هى تبتلع كل ما يأفكون . فبان كذبهم وخروا له ساجدين وانهزم المعاندون وزهق الباطل وعلت كلمة الحق . وكذلك يفعل الدجال . يعيث فى الأرض فساداً شأن المفسدين ، كما نراه اليوم ، وكما نعلمه قبل اليوم وبعده ، حتى إذا نزل عيسى عليه السلام قتله وأخزاه وأذابه

ثم ليس ما أعطاه الله بمشابه ما أعطاه الأنبياء ، بل هو أحقر من ذلك وأهون على الله أن يفعله له . وما زاد على أن يكون ساحراً ، أو شبه ساحر . وقد ورد في بعض الروايات أنه ساحر . وثبت فى الصحيح أنه قال عليه السلام « إن معه جنة وناراً . فالذى يراه الناس جنة هو نار ، والذى يراه الناس ناراً هو جنة » وهذا حال السحر . ولايسوى بين ما أعطى الله محمدا عليه السلام وإخوانه من الأنبياء وما سوف يعطى الدجال إلا من أصيب بعقله .

على أن هؤلاء لو تدبروا لعلموا أن خروج الدجال على ماوصفت الأحاديث يصدق الأنبياء ، ويقوى شأنهم ، ولايقدح فيهم كما حسب هؤلاء . فانه إذا خرج كما أنبأ عنه رسول الله عليه السلام — بعد القرون الطويلة المجهولة — كان هذا من أعظم الأعلام على أن رسول الله عليه السلام صادق ، وأنه يوحى إليه ، وأنه لا يمكن أن تكون هذه المعلومات المحجوبة بأقفال الغيب أدركها كلها بعقله .

فخروج الدجال — كما وصفت الأحاديث — لايقدح فى الأنبياء ،

ولا فى صدقهم ، بل هو معجزة من معجزات الأنبياء ، وعلم من علام نبواتهم . فليفطن المخالفون .

وأما الشبهة الخامسة وهى اختلاف الروايات ، وأن اختلافها يوجب تساقطها فيقال :

هذه الشبهة من أعجب العجب . إننا نعلم أن جميع لأمور الهامة العظيمة لا بد أن يقع فى وصفها اختلاف وتضارب أيضاً ، كما وقع فى الدجال . فإذا قرأنا تاريخ عمر بن الخطاب ، أو أبى بكر الصديق ، أو عبدالملك بن مروان ، أو المنصور ، أو ترجمة امرىء القيس ، أو المتنبى ، أو الإمام الشافعى ، أوابن تيمية ، أو غير هؤلاء من مشهورى الرجال وعظماء التاريخ ، وجدنا اختلافاً كثيراً في صفاتهم ، وفى أعمارهم ، وتواريخ موتهم ، وموالدهم ، وأماكن حياتهم ، وغير ذلك . فهل يوجب هذا الاختلاف أن نشك فى وجودهم ، أو أن ننكرهم ، كما جعل هؤلاء الفضلاء الاختلاف فى شىء من صفات الدجال موجباً لأن يشكوا فيه وفى مجيئه ؟! أظن ذلك لا يرضاه أحد . بل لو نظرنا فى تاريخ الأنبياء وسيرهم عليهم السلام لوجدنا الاختلاف فى بعض ذلك

إن الاختلاف الواقع فى الدجال ليس اختلافاً فى أنه يأتى أم لا يأتي . بل هو اختلاف فى شىء من صفاته الراجعة لذاته أو لفعله . ففى بعض الروايات أنه أعور العين اليمنى ، وفى بعضها أعور العين اليسرى . وكذلك هل كان موجوداً فى عصر الرسول . وهل هو ابن صياد أم غيره . لكن لا يوجد رواية — لا صحيحة ولا ضعيفة —

تقول إنه لن يأتى ولن يخرج . فهل هذا الاختلاف يوجب أن يشك فى وجود المختلف فيه ؟! لا يا قومنا . ولو كان كذلك لوجب أن يشك فى كل تاريخى عظيم . فانه لا يوجد شىء فى التاريخ عظيم إلا ويوجد اختلاف عظيم فى نعته وحاله مثل الرجال الذين سلف ذكرهم . بل ويوجد اختلاف فى الشىء الكثير من صفات الجنة وأهلها ، والنار وأهلها ، وفى الحساب ، والعرض ، وفى القبر ، ومنكر ونكير . فهل يوجب هذا أن نشك فى وجود هؤلاء الأشياء .

والحاصل أنه خفى على هؤلاء الأئمة الفرق بين الاختلاف فى وجود الشىء والاختلاف فى صفته . فالأول هو الذى يقال فيه : « تخالفتا فتساقطتا » لا الثانى . وهاك مثلا يقرب المسألة :

حدثنا جماعة من الناس أن العالم المشهور المعروف كان خطيبا يوم الجمعة الماضية فى الأزهر . وحدثنا جماعة أخرى تساوى الجماعة الأولى عدالة وكثرة أن العالم المذكور نفسه كان يوم الجمعة المذكورة خطيباً فى جامع عمرو بن العاص . فمثل هاتين الروايتين هما اللتان قد يقال فيهما : « تخالفتا فتساقطتا » . ولكن حدثنا جماعة كالجماعة الأولى بأن الشيخ فلانا كان خطيباً يوم الجمعة الماضية فى الامام الشافعى . ثم اختلفوا فيما كان لابسا . ففريق قال : كان لابساً جبة بيضاء ، وفريق آخر قال : كان لابساً جبة سوداء ، فهذا الاختلاف فى لون مالبس ، مع الاتفاق على أنه هو الخطيب لا غيره ، لا يوجب تساقط الروايتين مطلقاً ولا أن يقال فيهما « تخالفتا فتساقطتا » .

نحن هنا لا نتعرض للتوفيق بين الروايات المتخالفة في الدجال ، ولا ترجيح الراجح على غيره . فهذا البحث ليس في صدد من بحثنا وليس من مقصدنا ، وليست له قيمة تدعونا إلى التعرض له . وإنما نريد أن نذكر أنه لاخلاف فى أنه يأتى ، وأن الشبه المعارضة لذلك مردودة .

وأما الشبهة السادسة ، وهى أنه لم يذكر فى القرآن . فيقال : القرآن لم يذكر فيه كل شىء على وجه التفصيل . فهو لم يذكر عدد الركعات فى الصلاة ، ولا مواقيتها ، ولم يذكر عدد ما فرض منها فى اليوم والليلة ، ولم يذكر مقادير الزكاة ، ولا مقادير الديات ، ولا نصاب الزكوات ، ولا مايجب على المسلم من حجة فى عمره ، ولا ذكر أيضاً أن عيسى عليه السلام سوف ينزل فى آخر الزمن ، ولم يذكر الرجم للزاني المحصن . وبالجملة لم يذكر أشياء كثيرة . ولهذا يقول عليه السلام « أوتيت القرآن ومثليه معه » .

ويقال أيضاً : إنه ذكر فى القرآن ضمناً فى قوله تعالى (يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً) وقد صح فى الحديث أنه إذا خرج الدجال لم ينفع الايمان من لم يكن مؤمناً من قبل ، وفى قوله تعالى (هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) على أن « جاء » هنا بمعنى كاد يجىء ، وهو تفسير صحيح .

وأيضاً ليس من عادة القرآن أن يصرح بذكر رجل واحد

مغضوب عليه ومضل ، وإنما يبهم ذلك إبهاماً ، ويذكره بوصفه وعمله لا باسمه . وهذا في آيات عديدة أشار بها إلى رجال كثيرين من ضلال قريش ومن قبلهم ، وإنما ذكر أبا لهب تصريحاً لحكمة استدعت ذكره باسمه .

والكلمة الفاصلة فى هذا أن ظهور الدجال أمر معلوم بالتواتر والضرورة الدينية ، لا يجوز مطلقاً الخلاف فيه . وليس من ريب أن من تشكك فى الدجال الذى تستعيذ منه كل يوم مئات الملايين أكثر من خمس مرات لم يجد مانعاً من أن يتشكك فى أصول الدين المتواترة اليقينية . ولقد كنا نعجب من قوم شكوا فى رجال مشهورين لم تبلغ شهرتهم ما بلغه الدجال ، ولكن عجبنا اليوم ممن راح ينكر الدجال أو ذهب يشك فيه أكثر وأحق . ولا أحسب المسلم الناصح لنفسه يرضى أن يرد الأمور المتواترة بأمثال هذه الشبهات التى يشبهها من يبالغ فى مدحها ببيت العنكبوت

احاديث اشراط الساعة

قد جهر القرآن بأن للساعة أشراطاً . قال (وقد جاء أشراطها) وقال (يوم يأتى بعض آيات ربك) الآية . وقال (وإنه لعلم للساعة) وقال (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض) وكذلك آيات يأجوج ومأجوج . وتكاثرت الأحاديث الصحيحة عن رسول

الله أن بين يدى الساعة أشراطاً مثل الجساسة ، وأن الشمس تطلع من مغربها ، وأن نهر الفرات يحسر عن جبل من ذهب ، إلى آخر ما ورد من ذلك فى الأخبار الثابتة . وقد رد جماعة هذه الأشراط وشككوا فيها واحتجوا ببعض ما احتجوا به على الدجال وخروجه . إذاً خذ جوابها من جوابنا لشبهاتهم على الدجال . فلا نحتاج أن نعيد ذلك والله أعلم .

تحاج آدم وموسى عليهما السلام

عن أبى هريرة عن رسول الله عليه السلام قال « احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى . قال موسى : أنت آدم الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك فى جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض . فقال آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شىء أفتلومنى على أن عملت عملا كتبه الله علىّ أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة » قال رسول الله « فحج آدم موسى » رواه البخارى ومسلم بألفاظ وهذا اللفظ لمسلم .

وهذا الحديث حديث ثابت عن رسول الله . وقد ضلت فيه طائفتان :

طائفة كذبت الحديث وردته . قالت : إنه يدل على أن للعاصي

أن يحتج لمصيانه بالقدر ، وأن احتجاجه يكون صحيحاً . قالوا : ونحن نعلم بالضرورة من دين الاسلام ، بل من جميع الأديان ، أن الاحتجاج بالقدر للعاصي باطل في الشرع ، وفي العقل ، وأن من عصى الله ليس له أن يحتج بالقدر ، وان احتج به كان خطيئة على خطيئة .

وطائفة ثانية فهمت الحديث كما فهمته الطائفة الأولى ، فقبلته ، وسوغت أن يحتج العاصي ، بل والكافر بالقدر . وهذا باطل عقلا ، وشرعا ، وضرورة ، ووجداناً . فلو كان يجوز أن يحتج بالقدر لجاز لليهود والنصارى والمشركين أن يحتجوا لكفرهم بأن الله قضاه عليهم ، وكانوا يحجون الأنبياء بهذه الحجة ، وكان يجوز أن يحتج السارق والزاني والقاتل به ، فلا تقام عليهم الحدود . وقد احتج المشركون على رسول الله بهذه الحجة الداحضة ، فردها الله عليهم . قال تعالى (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم) وقال (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء)

وأيضاً لو كان القدر حجة لكان حجة لموسى في لومه لآدم فكان يقول له : أتلومني يا آدم على لومي لك وقد كتبه الله عليّ وقدر أن ألومك فتكون لموسى الحجة على آدم كما كانت لآدم على موسى ، وكان كل منهما معذوراً ، ولم يكن موسى محجوجاً وآدم حاجاً ، ولم يكن آدم مصيباً وموسى مخطئاً . وهذا واضح .

وأيضاً قد جهر القرآن بأن آدم وحواء اعترفا بذنبهما و (قالا

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)
ولو كان آدم يرى أنه معذور بالقدر لما اعترف بذنبه .

وأيضاً لو كان القدر يدفع اللائمة لما كان آدم عاصياً . لكن قال الله بعد أن ذكر أكلهما من الشجرة (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)

وأيضاً لو كان معذوراً لما أخرجا من الجنة لما أكلا من الشجرة ، ولكان الشيطان معذوراً أيضاً فى أن أغواهما وأبى لهما السجود ، وكان يجوز له أن يرد على من اعترض عليه بالقدر كما احتج عدوه آدم

فالاحتجاج بالقدر للمخالفة باطل شرعا وعقلا ووجدانا وضرورة . ولو ظلم أحد هؤلاء الذين يحتجون بالقدر لما عذر ظالمه وغفر له ذنبه واحتج له بالقدر والقضاء بل لكان يسعى فى الايذاء والانتقام

وإذاً سوف تقول لى : عرفنا أن الاحتجاج بالقدر باطل فما معنى هذا الحديث ، وما تأويله ؟ فأقول : فيه رأيان ليس فى واحد منهما تجاف عن العقل أو الشرع :

الرأى الأول — قالوا : إن موسى عليه السلام لام آدم على المصيبة التى وقع فيها هو وبنوه ، وهى الاخراج من الجنة ، لا على الذنب الذى هو الأكل من الشجرة . قالوا : والمصيبات يجب الرضا والتسليم لله فيها لأنها من فعل الخالق سبحانه لا فعل المخلوق . قالوا : وقد مدح القرآن الصابرين على المصيبة قال (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم

ورحمة وأولئك هم المهتدون) وقال (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل ان نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) وقال (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قالوا : فالمصيبات التى يبتلى الله بها عباده ليس لهم ان يجزعوا منها ، وأن يحزنوا ، بل عليهم الرضوان بها ، والتسليم لله . قالوا : وموسى اعقل واعرف من ان يلوم آدم على ذنب قد تاب منه ، وقبل الله توبته ، وغفره له ، واجتباه بعده . وإنما كان ملامه له على الاخراج من الجنة الذى هو صنع الله ، وعلى ما حصل منه ، وهو إخراج أولاده من الجنة ، وتعريضهم للدنيا وتكاليفها ، ومافيها من أذى وردى . قالوا : ورواية الحديث شاهدة بذلك فان فيها « أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة » وفيها « أنت آدم الذى أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة » وفيها « ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض » فهذه الروايات شهيدة على أنه لامه على المصيبة التى وقعت بعد ذنبه ، لاعلى ذنبه وبهذا برىء الحديث من الاشكال . هذا هو الرأى الاول

الرأى الثانى — لم تقع المحاجة بين آدم وموسى إلا بعد أن تاب آدم من ذنبه ، وتاب الله عليه ، وغفر له ، ورضيه ، وعمل بعده الأعمال الصالحة التى جعلته من أصحاب الجنات ، ومن المقربين عند الله ، ومن أنبيائه المصطفين . فالحجاج بعد ذلك كله . والملامة على الذنب يراد بها زجر المذنب لئلا يعود إلى ذنبه مرة ثانية . أما إذا أذنب ثم تاب من

ذنبه توبة نصوحا ، وقبلت توبته فلا فائدة باللام ، ولا يجوز ذلك مطلقاً . لأن المراد منه حينئذ الاساءة والتوبيخ . وهذا لايحل . ألاترى أننا لو لمنا إنساناً كان ترك الصلاة بعد أن تاب ، وحافظ عليها كل المحافظة ، لكنا أحق باللوم منه ، ولكنا مخطئين غير مصيبين ؟ وكذلك من لام كافراً على كفران سلف منه ، ثم تاب منه كان مخطئاً غير مصيب . فهذا الحديث من هذا . فموسى لام آدم على ذنبه الذى تاب ، فكان محجوجا غير مصيب ، لأنه لم يفد لومه ، ولم يثمر غير إيجاع آدم وإيذائه. وقد روى مسلم فى صحيحه أن امرأة جاءت رسول الله عليه السلام فاعترفت على نفسها بالزنى ، فأمر بها فرجمت ، فأقبل خالد بن الوليد — وهى ترجم — فرماها بحجر وسبها . فقال نبى الله « مهلا ياخالد . لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » . نهاه رسول الله عن أن يسب امرأة زانية لأنها قد تابت . والتائب يتاب عليه . فكذلك آدم عليه السلام لايجوز أن يلام على ما تاب منه

وهذا الرأى هو الرأى الصحيح الذى يلزم حمل الحديث عليه . أما الرأى الأول فليس بذاك . فان قوله : ألومنى على ان عملت عملا كتبه الله علىّ صريح فى أن موسى لامه على العمل لاعلى المصيبة

وايضا مما لايصح أن يلوم موسى آدم على المصيبة التى هى من فعل الله ، ولافعل لآدم فيها ، وهى إخراجه وإخراج ذريته من الجنة

وأيضاً لو كان لامه على المصيبة لكان ذلك لأنه هو السبب في المصيبة ، والعامل الأول فى حلولها . ولاريب أن المذنب يلام على

ما أنتجه عمله . ولو عصا عاص فأنزل الله عقاباً عم ذلك العاصى واهل بلدته لساغ ملامه على ما اصاب اهل البلدة . ولو اعتدى معتد من بلد فقتل إنسانا ، فهجم أهل القتيل على بلدة القاتل فأوقعوا بهم للام أهل البلدة القاتل على ما جره عليهم من بلاء ، ولقالوا له : آذيتنا واعتديت علينا . وهم صادقون

فان قلت : ما ذهبت إليه فى الحديث مذهب صحيح ، لولا أن ظاهر الحديث خلافه . فان روايات الحديث كلها تدل على أن آدم دفع عن نفسه بالقدر لا بالتوبة . فانه قال « أتلومنى على أمر قد قدره الله علىّ قبل أن أخلق » إلى آخر الروايات . ولو كان المعنى ما تذهب إليه لقال « أتلومنى على أمر قد تبت منه وتاب الله علي »

قلت : لاشك أنه إذا كان للأمر سببان ، أو علتان فأكثر جاز ذكر أحدهما وطى الآخر وتنحيته إن كان معلوما . فقد يراك إنسان ، ومعك زكاة مالك تريد أن تدفعها الى واحد من أصحابها ، فيقول لك : « إدفعها لفلان فانه فقير » والعلة الثانية المطوية فى هذا الكلام « ومسلم » فان الزكاة لاتدفع للفقير إلا إذا كان مسلماً . وكذا إذا رأيت من يطلب عاملا قلت : « استعمل فلاناً فانه مسلم » أى « وأمين وكفء » وإذا رأيت من يريد قتل إنسان قلت له: « لاتقتله فانه مسلم » وأنت تريد أنه مسلم ، وأنه لم يجن ما يستحق به القتل . وإذا رأيت من يؤذى ذمياً قلت له : « لا تؤذه فانه ذمى » أى « ومسالم لم ينقض عهده » . وقد يقال لك : لماذا قدمت فلاناً على غيره . فتقول : « لانه عالم » أى

« وصالح » وقد يقال لك لِمَ تحب فلاناً فتقول : « لانه من العرب » أى « ومن الفضلاء » . وأمثال ذلك فى الكلام العربى كثير معروف . وكذلك حديث الباب . ذكر أحد السببين ، وهو القدر . وطوى الآخر ، وهو التوبة ، لأنها معلومة للمتخاطبين

فهذا الحديث قاعدة من قواعد الآداب النبوية ، وخلق من أخلاقه السامية . وهى أن يكون فعل الانسان كله للمصلحة والفائدة فلا يفعل شيئاً إلا إذا كان نافعاً فلا يعظ عاصياً إلا إذا ظن أنه ينتهى عن عصيانه ، أو يقلل منه ، لا أن يلج فيه ويتمادى

لطم موسى لملك الموت

عن أبى هريرة عن رسول الله قال : « أرسل ملك الموت إلى موسى . فلما جاءه صكه . فرجع إلى ربه ، فقال : أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت . قال : ارجع إليه وقل له ليضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة. قال : أي ربي ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت . قال : فالآن » . رواه البخارى ومسلم . وفى رواية عند مسلم قال : « قال ملك الموت لموسى : أجب ربك . فلطم موسى عين الملك ففقأها » قال « فردها الله عليه »

هذا حديث صحيح الإسناد وفى معناه إشكالات :

أولا — لو فقأ أحدنا عين واحد من عامة الناس لعد فاسقاً باغياً . فما حال من فقأ عين ملك مقرب ؟! إن فسقه وظلمه يكون أعظم وأظهر .

ثانياً — الحديث يدل على أن ملك الموت جاء موسى ظاهراً فأبصره . وهل ملك الموت يبصر ؟!

ثالثاً — الحديث يدل على أن موسى ما كان يعلم بأنه مائت لا محالة ، بل يشك فى خلوده . ولهذا يقول : « ثم ماذا » كأنه لا يعلم أن الموت من بعد

رابعاً — إما أن يكون الله أرسل ملك الموت إلى موسى ليتوفاه أو يكون الملك ذهب من تلقاء نفسه . على الأول كيف يرجع إلى الله قبل توفيه ؟! أو ليس قادراً على ذلك وإن كره موسى والحديث يشهد على أن الله أرسله ؟! وعلى الثانى كيف يجوز لملك أن يتوفى نبياً من أنبياء الله المرسلين لانقاذ البشر من الشرك والفساد بلا أمر من الله ، ألا يكون معتديا أهلا لما نزل به ؟!

خامساً — لا شك أنه ما لطم الملك فأطار عينه إلا كراهية الموت وحباً للحياة . إذاً ماله لم يقبل ذلك العمر الذي عرضه الله عليه وهو عدد الشعرات التى تتناولها يده إذا وضعها على ظهر ثور ؟! فهذا قد يشعر بشيء من التناقض .

هذه إشكالات قد تعترض القارىء ، وقد ترد عليه ، وإن لم يستطع الإبانة عنها . وقد كذب الحديث أقوام لذلك . وهى واردات لا تصل

إلى إضعاف الحديث الصحيح . وبيان ذلك :

أما الإشكال الأول وهو أنه يكون ظالماً وبغياً . فيقال : إن موسى ما كان يعلم أنه ملك الموت ، وأن الله بعثه إليه ، بل حسب أنه إنسى يريد العدوان عليه ، كما حسب ابراهيم ولوط الملائكة الذين جاءوهما أناسيّ فرأى أن الدفاع عن النفس جائز أو واجب . كيف وهو رسول الله أرسله لغرض من أشرف الأغراض ، وهو إقامة التوحيد والعدل فى الأرض . وليس فى الحديث ما يشهد بأنه عالم حقيقة الملك

وأيضاً ربما ظن أنه تصلح مدافعة ملك الموت ، كما تصلح مدافعة الأقدار والنوازل التى ينزلها الله ويبعثها لقصم العباد ، فحسب أن المكلف يطالب بأن يدافع كلما هجم عليه مطلقاً ، فدافعه ، كما يجب علينا أن ندافع الموت ووسائله على قدر طاقتنا ، وإن كنا غير قادرين على دفعه .

وأيضاً ربما حسب أن الملك ليس ملزماً بأن يقبض روحه ، فطلب منه الإمهال ، فلم يجب ، فأصابه بما أصابه . ولعله لم يكن قاصداً فقء عينه . وقد قص القرآن من فعل موسى ما يقارب هذا . وهو ما حكاه عن قتل القبطي . قال في سورة القصص (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ، قال ربي إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم) وقال في ذلك ـ لما ذكره فرعون فعلته ـ من سورة الشعراء (قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين) ولا نرى

موسى كان مريداً قتل ذلك القبطى ، وإنما أراد أن يخلص الاسرائيلى منه ، فكانت القاضية .

أما الاشكال الثانى ، وهو أن الملك جاءه فرآه . فيقال : إن الملائكة تأتى الأنبياء بصور الرجال ، كما جاءوا إلى إبراهيم وإلى لوط بهيئة أضياف ، وكما كان جبرائيل يجيء رسول الله . هذا شيء لا ينكر ولا يستشكل .

وأما الرواية التى رواها الإمام أحمد فى الحديث وهى « وكان ملك الموت يأتى الناس عياناً فلا أظنها صحيحة . وهى — إن كانت صحيحة — من قول أبى هريرة ، ليست مرفوعة .

وأما الإشكال الثالث ، وهو أن موسى كان يشك فى خلوده فيقال : إن الاستفهام فى الكلام يكون لضروب كثيرة . وليس بلازم أن يقارنه الجهل والشك . وقد يستفهم العالم والجاهل فلا يدل الاستفهام مطلقاً على أن المستفهم جاهل وشاك فيما استفهم عنه . فقد جاء الاستفهام فى القرآن كثيراً كقوله (هل أتى على الانسان حين من الدهر) (هل أتاك حديث الغاشية) (وهل أتاك نبأ الخصم) (آلآن وقد عصيت) (وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى) الآية . وأمثال هذا . فهل الاستفهام هنا يقارنه الشك ؟ ! كلا . ومثل هذا موجود فى كلام الناس . فقد يقع الاستفهام منهم كثيراً بلا شك ولا جهل . فكذلك قول موسى « ثم ماذا ؟ » لا يدل على أنه شاك فى مصيره الأخير .

وأما الاشكال الرابع فنقول فيه : إن الله أرسل الملك إلى توفيه . والروايات شاهدة بذلك . ولكن لما رأى حرص موسى على الحياة ، وخوفه من الممات ظن أن الله ينسأله فى أجله ، فتركه . ولهذا يقول « أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت » أو أنه أثر فيه ما أصابه من موسى ، فرجع إلى ربه مشتكياً قبل أن يقوم بمهمته . ولا مانع أيضاً أن يكون إرساله لتوفيه ليس على طريق الايجاب والالزام ، بل على طريق التخيير والتفويض . وقد جاء فى الصحيح أن الأنبياء لا يموتون حتى يستشاروا ويخيروا بين الموت والحياة . فالملك يعلم أن موته في تلك الساعة ليس لازماً . وعليه لم يبادر إلى توفيه ، أو أن الملك جاءه مخيراً له بين الموت والحياة ، فظنه موسى عادياً ، فلما صكه علم أنه لا يختار الموت فتركه .

وأما الاشكال الخامس فجوابه ماجاوبنا به الاشكال الأول ، وهو أن موسى لم يعلم أنه ملك الموت ، بل حسبه معتدياً عليه ، فلطمه لذلك دفعاً عن نفسه ، لا فراراً من الموت ، ولا رغباً فى الحياة . فلما عرف أنه ملك الموت رغب فى لقاء ربه ، واختار جواره ، كما اختار ذلك سائر الأنبياء بعد أن خيروا . ثم أى مانع من أن يختار الانسان أولا الحياة ، ثم الموت ؟ ليس فى ذلك استحالة ولا بعد . فلا يجوز رد الأحاديث الصحيحة بمثل هذه الواردات التى ترد على كل شىء ، والتى لا يسلم منها كلام ، وإن بلغ مابلغ من السمو والصحة والجودة . والله أعلم .

النيل والفرات من الجنة

فى حديث المعراج الطويل الذى رواه البخارى ومسلم وسواهما عن رسول الله ﷺ أنه قال « ثم رفعت إلى سدرة المنتهى . فاذا بنبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، وإذا فى أصلها أربعة أنهار : نهران باطنان ، ونهران ظاهران . فقلت : ماهذا ياجبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات » وروى مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله عليه السلام أنه قال « أربعة أنهار من الجنة : النيل والفرات وسيحان وجيحان »

هذه الأنهار الأربعة موجودة فى الأرض ، معروفة للناس من مبدئها إلى منتهاها ، مشهودة لهم منابعها الأساسية ، ومصادرها الأولية . ومن أجل ذلك كان هذان الحديثان مشكلين فى ظاهرهما ، لأنهما ربما دلا على خلاف المشاهدة . فافترقت الآراء هنا . فكذبت طائفة الحديث . وأفرطت أخرى فقالت : إن الأنهار المذكورة تخرج الآن من الجنة ، وتنصب منها . ولم تعبأ بأن تنازع المشاهدة . وقالت طائفة : إن فى الكلام تشبيهاً . والمراد أن ماء هذه الأنهار يشابه ماء الجنة حلاوة وغزارة ودواماً . وهذا القول لايمكن إلا فى الرواية الأخيرة . أما الأولى فلا . وقالت طائفة : المراد أن من يشربون من الأنهار الأربعة هم من أهل الجنة . أى إن البلاد التى فيها هذه الأنهار

سوف يؤمنون فيكونون من أهل الجنة . وقالت طائفة : إن فى الكلام تمثيلا . فسدرة المنتهى عبارة عن مركز التدبير للكون كله . فكل ما فى الكون يدبر هنالك ، ويقضى مايقضى فيه . فالنيل والفرات يدبران هنالك ويصدران عن مركزهما . فرسول الله ﷺ رأى أمرهما وتدبيرهما يصدر من سدرة المنتهى لاماءهما . وقالت طائفة : إن النيل والفرات رفعا ليلة المعراج إلى السماء بأعيانهما ، فرآهما رسول الله عليه السلام ثم ، كما رفعت الأنبياء هنالك فرآهم . وقالت طائفة : هذه الأنهار المذكورة في الحديث أنهار موجودة فى الجنة ليست هى الأنهار الموجودة فى الأرض المعروفة ، وإنما توافقت أسماؤها . ففى الجنة أربعة أنهار تسمى بهذه الأسماء ، وفى الأرض أربعة أنهار هذه اسماؤها . وقالت طائفة : قامت البراهين على صدق رسول الله عليه السلام وصحة هذين الخبرين عنه ، فلزم أن نؤمن بذلك على مراد رسول الله عليه السلام ، ولا نكلف أنفسنا فهم مالا نقدر على فهمه ، ولا نرد مالم نحط به خبراً ، ويارب حقيقة واقعة لانفهمها . ولعلما عجزنا عن فهمه اليوم نفهمه غداً أو يفهمه غيرنا . أو لعل الزمان والحوادث تكشف لنا بعد ذلك عنه . وليس فهمنا وحدنا ميزان الحق والحقيقة . وفى السنة متشابهات ، كما فى القرآن متشابهات . والمؤمنون هم الذين يقولون لما لايفهمون (آمنا به كل من عند ربنا) ولا أضل ممن ذهب يرد كل مالم يقدر على فهمه ، ولا أجهل ممن كذب بالشىء لأن الله لم يشأ أن يفهمه إياه .

وهـذه الأقوال كلها ضعيفة كما ترى ، لاتأنس بها النفس ، المؤمنة ولا الجاحدة ، وإنما الرأى الراجح الصحيح أن نقول :

أما الحديث الأول فهو آت على سبيل التمثيل . فقد مثل له ﷺ النيل والفرات هنالك تمثيلا ، كما مثلت له الجنة والنار فى عرض الحائط وهو قائم يصلى ، حتى تقهقر وراءه لما رأى النار ، وتقدم أمامه لما رأى الجنة ليأخذ عنقوداً ، وحتى رأى أناساً يعذبون فى النار ، وكما مثل له عيسى بن مريم والمسيح الدجال ، أحدهما يتبع الثانى ، وكما مثل له موسى عليه السلام وهو راكب حاجاً ينحدر من الوادى ، وكما عرضت عليه الأمم أمة أمة ، فرأى سوداً ساداً الأفق ، فقيل له : هؤلاء قوم موسى ، وكما زويت له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها ، وكما رأى عمرو بن لحي يجر قصبه في النـار ، ورأى المرأة التى عذبت الهرة بالحبس حتى ماتت . وقد رأى ليلة المعراج الأنبياء فى السماء ، بعد أن صلى بهم إماماً فى بيت المقدس ، وبعد أن رأى موسى يصلى فى قبره ، وكذلك رأى نسمات الكافرين والمؤمنين عن يمين آدم وشماله فى السماء . وقد رأى غير ذلك . وقد ذهبت طوائف من العلماء إلى أن ذلك كله على سبيل التمثيل والتصوير . فكذلك حديث النيل والفرات . مثلا له عليه السلام فى السماء قرب سدرة المنتهى فرآهما . فهذا الرأى يساير الحس والعقل والشرع واللغة ، ولا يخالف منها واحداً . فلزم حمل الخبر عليه . ولا مندوحة عنه . ولله سر فى تمثيل هذين النهرين له عليه السـلام فى تلك الليلة العظيمة ، فى تلك البقعة المباركة ، وهو أن

يكون ذلك رمزاً وإشارة إلى أن لله سوف يفتحهما على أمته ، ويجعلهما تحت سلطان شريعته ، لأنه قد علاهما وتجاوزهما ارتفاعاً ، وصارا تحت ذاته الشريفة . وفى ذلك ما فيه من البشرى له مادياً ومعنوياً هذا معنى الرواية الأولى .

وأما الرواية الثانية ، وهي « النيل والفرات وسيحان وجيحان من الجنة » فالمعنى المختار أن يكون المراد أن الله أنزلهن من الجنة قديماً — بعد أن كن فيها — لمنفعة الناس ، وجعلهن فى أماكنهن الآن من الأرض . وقد يشهد لذلك قوله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض . وإنا على ذهاب به لقادرون) وقوله (أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض) وقد كان آدم وزوجه فى الجنة فأخرجا منها وأهبطا الأرض وكان الشيطان فيها أيضاً فطرد منها فكذلك الأنهار المذكورة . ولتعلم أن الرواية لم تقل إن الأنهار فى الجنة ، بل قالت من الجنة . ولا يخفى عليك مافى العبارتين من الفرق فالعبارة الأولى قد تدل على أنهن موجودات فى الجنة . وأما الأخرى فتكاد تصرح بخلاف ذلك .

وثم رأى ثان فى الراوية الأخيرة . وهو أن هذه الأنهار سوف تكون فى الجنة ، وسوف تكون من شراب أهلها ، وسوف يدخلهن الله فيها بعد أن يكملهن ويزيدهن حلاوة وعذوبة كما يفعل بالمؤمنين . هذا ما يتحمله هذان الحديثان من البيان الآن